



أضواء على التواجد العثماني بالجزائر

قراءة في الدوافع والنتائج

Lights on the Ottoman presence in Algeria read in motives and results

لزهري بديدة

جامعة الوادي، الجزائر

lazharbedida@yahoo.fr

حياة شيباني (*)

جامعة الوادي، الجزائر

hayat-chibani@eloued.dz

تاريخ النشر: 2026/06/07

تاريخ القبول: 2024/01/03

تاريخ الإيداع: 2023/02/01

الملخص:

تتناول هذه الورقة البحثية جانب مهم من جوانب تاريخ الجزائر الحديث، والذي يتمثل في انضمام الجزائر للخلافة العثمانية سنة 1519م، وهذا الانضمام أتى بعدما تعرضت سواحل الجزائر كغيرها من بلدان المغرب العربي للغزو المسيحي، الذي احتل العديد من المناطق، ونظرا لضعف تلك الدويلات المغربية والتي من بينها الدولة الزيانية لم تستطع مواجهة هذا الزحف الصليبي، لذلك كان لزاما على سكان الجزائر طلب يد المساعدة من لهم القوة الكافية لمواجهة هذا الخطر، فوقع اختيارهم على الاخوة بربروس الذين ذاع صيتهم في العالم الإسلامي وحتى العالم المسيحي بسبب انتصاراتهم المتكررة. وتماشيا مع ذلك تطرقنا في خضم هذا البحث لأهم أسباب ودوافع انضمام الجزائر للخلافة العثمانية، والدور الذي قام به الاخوة بربروس لتحقيق هذا الهدف، وأهم النتائج التي نجمت عن ذلك. توصلَ البحث إلى أن التجربة الصحية للثورة الجزائرية مثلت نموذجا في الابتكار والمقاومة الطيبة، حيث استطاعت التغلب على ضعف الموارد بفضل روح التضامن والتخطيط المحكم. كما أبرزت الدراسة أن النظام الصحي للثورة لم يكن ذا طابع علاجي فقط، بل كان أداة استراتيجية لدعم الجهد الحربي والحفاظ على الروح المعنوية للمجاهدين. في المقابل، أظهر البحث استخدام الجيش الفرنسي لعلم الأوبئة كسلاح بيولوجي ضد الأسرى، ما يعكس التباين الأخلاقي بين الطرفين في سياق الحرب التحريرية.

(*) المؤلف المرسل: حياة شيباني: hayat-chibani@eloued.dz



الكلمات الدالة:

التواجد العثماني؛ الجزائر؛ الدوافع؛ النتائج.

Abstract:

This research paper deals with an important aspect of the modern history of Algeria, which is the accession of Algeria to the Ottoman Caliphate in the year 1519 AD. Among them, the Zayani state could not confront this crusader advance, so it was necessary for the inhabitants of Algeria to seek help from those who had sufficient strength to face this danger, so they chose the Barbaros brothers, who became famous in the Islamic world and even the Christian world because of their repeated victories. In line with that, we discussed in the midst of this research the most important reasons and motives for Algeria's accession to the Ottoman Caliphate, the role played by the Barbaros brothers to achieve this goal, and the most important results that resulted from that.

Key Words:

the Ottoman presence; Algeria; motives; Results.

1. مقدمة:

قد غدت الدولة العثمانية في أوائل القرن السادس عشر أعظم قوة بحرية في الشرق الأدنى وفي الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، وكانت تمثل القوة الإسلامية الفتية خاصة بعد أن نجحت في الاستيلاء على أملاك الدولة المملوكية في الشام ومصر والحجاز واليمن، وإلى ذلك الوقت لم تلعب البحرية العثمانية دورا بارزا في حروب الدولة العثمانية، وإنما كانت الجيوش البرية هي صاحبة الفضل في مجدهم الحربي.

وفي تلك الاثناء تعرضت البلاد العربية في شمال إفريقيا للخطر والأطماع الاستعمارية البرتغالية والإسبانية، التي استولت على العديد من سواحل المغرب الأقصى والجزائر وتونس وطرابلس الغرب، لكن الضعف السياسي والعسكري الذي كانت تعيشه هذه الدول لم يمكنها من مواجهة هذا الخطر المسيحي، لذلك كان من المهم بناء دولة قوية أو التحالف مع دولة قوية للوقوف في وجه هذا الغزو، ومواجهة هذا الخطر المحدق ببلاد الإسلام في الشمال الإفريقي¹.

وتزامنا مع تلك الحوادث التي كان يمر بها المغرب العربي كان هناك في الجانب الآخر الكثير من البحارة الأتراك الذين يجوبون البحر بمبادرة فردية مستقلين بأنفسهم، ينقلون الأسلحة



إلى الأندلس، أو مدافعين عن موانئ إفريقيا الشمالية ضد هجمات الغزاة الأوربيين. كما كان يعمل بعضهم في خدمة السلطان الحفصي أو غيره من السلاطين المحليين أو على الأقل يتلقون تشجيعا منهم. وبالنظر إلى الدور الدفاعي والانتقامي الذي كان يقوم به هؤلاء البحارة صار الأهالي ينظرون إليهم على أنهم أبطال ومدافعون عن المسلمين. فكانوا يستقبلون بحرارة في موانئ المغرب العربي حيث اعتادوا على قضاء فصل الشتاء لإصلاح سفنهم وبيع غنائمهم، وتعويض خسائرهم البشرية².

وقد تعود هؤلاء البحارة على الاستعانة بالمسلمين الأندلسيين الذين أجبروا على التظاهر بتغيير دينهم، حيث كانوا يمدونهم بالمعلومات اللازمة ليقوموا بهجماتهم على السواحل الإسبانية. مما دفع سكان الموانئ الإسبانية إلى رفع شكاوى إلى الملكة إيزابيلا³ معلنين أنهم لم يعد في مقدورهم دفع الضرائب إذا لم يعد بإمكانهم ممارسة التجارة مع الخارج، وزراعة أراضيهم بفعل غارات البحارة الأتراك والمغاربة.

وكانت القواعد الرئيسية لنشاط هؤلاء البحارة ممتدة على طول الساحل الشمالي الإفريقي كطرابلس، وجربة، وبجاية، الجزائر، وتنس، ووهران، والمرسى الكبير⁴. وتمكنوا من مواجهة الغزو الإسباني وتحرير كل السواحل المحتلة، كما تمكنوا من بناء دولة قوية والحاقها بالباب العالي والتي تتمثل في إيالة الجزائر، التي أصبحت محور الصراع الإسلامي المسيحي والركيزة الأساسية التي تعتمد عليها الدولة العثمانية في مواجهة التحديات المحدقة بها، لتصبح فيما بعد سيدة البحر الأبيض المتوسط دون منازع خاصة الحوض الغربي منه. وأمام هذا التمهد نطرح الاشكالية التالية:

فيما تتمثل دوافع وأسباب التواجد العثماني بالجزائر؟ وماهي نتائجه على المدى القريب والبعيد؟ وإلى أي مدى ساهم هذا التواجد في تحرير السواحل الجزائرية من الغزو الإسباني، وإبراز الإيالة الجزائرية كقوة عسكرية واقتصادية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط؟

2. الحملات البحرية لعروج وخير الدين بربروس لتحرير السواحل الجزائرية من الغزو الإسباني:
تشير المصادر التاريخية إلى أن عروج وخير الدين وإسحاق أبناء لأب من أصل تركي بإقليم الرومي اسمه يعقوب بن يوسف كان يقطن بجزيرة مدلي في الأرخبيل اليوناني، ويحترف



صناعة الفخار، ولد عروج حوالي سنة 1473م وخير الدين في العام الموالي وكان عروج وخير الدين يبيعان الفخار لأبيهما في الجزائر اليونانية بواسطة بعض المراكب، وفي إحدى المرات وقع عروج أسيرا وبيع عبدا بجزيرة رودس. وفي أثناء توجهه إلى مصر كمجند في سفينة تحمل أسرى مسلمين جرى افتدائهم بالمال، اغتنم من خلالها فرصة حدوث زوبعة بحرية وفر من المركب⁵.

وأشارت العديد من المصادر التاريخية إلى أن عروج عندما نجا من الأسر، لجأ إلى مدينة أنطاليا حيث عمل مساعدا لقبطان أحد السفن التي كانت متوجهة إلى مصر. وحينما وصل إلى مصر استقر بها فترة من الزمن تمكن من خلالها من مقابلة سلطانها "قانسوى الغوري"، والدخول في خدمته.

في هذه الأثناء كان سلطان مصر يقوم بإعداد أسطول بحري، بغية إرساله إلى الهند. فكلّف عدة سفن بالتوجه إلى خليج باياس لإحضار الخشب اللازم لإنشاء الأسطول. وكانت سفينة عروج ضمن السفن المتوجهة إلى الخليج. وعندما وصلت السفن إلى الميناء تعرضت لهجوم مفاجئ من طرف قراصنة رودس، الذين استطاعوا إحراق السفن والأخشاب، وأضطر البحارة إلى الفرار والتفرق في المناطق المجاورة⁶.

عاد عروج مرة أخرى إلى أنطاليا، واتصل بالأمير الشاه زادة قرقود، حيث منحه سفينة ذات 18 مقعدا، مجهزة بكل اللوازم. فأنطلق بها عروج إلى رودس، مغبرا بها على عدد من الجزر القريبة منها. الأمر الذي أثار جو من الهلع في أوساط الأهالي الذين هرعوا إلى حاكم الجزيرة طالبين منه بذل أقصى ما يمكن من الجهود لتأمين الحماية لهم ولأموالهم. فأمر الحاكم بمطاردة عروج والبحث عنه في كل ميناء. وأنطلق الروديسيون يبحثون عن عروج في كل مكان، إلى أن صادفوه راسيا بسفنه في إحدى الموانئ فباغتوه بهجوم مفاجئ إلا أنه تمكن من الفرار برجاله إلى المناطق المجاورة⁷.

تدارس الأخوان مستقبل عملهما في غرب البحر المتوسط، وتوصلا إلى قناعة بضرورة التوجه إلى تونس لمقابلة سلطانها أبي عبد الله محمد الحفصي (1494-1526م) الذي كانت تربطه بالأتراك علاقات جيدة، منذ قيامه بمبادرة الصلح بين العثمانيين والمماليك في عهد بايزيد الثاني⁸ عام 1494م. توجه الإخوان ببروس ومن سار معهم من البحارة إلى سلطان تونس، وقدموا له الهدايا، ثم طلبوا منه أن يمنحهم مكانا يجعلونه مركزا لهم يرسون فيه، ويقضون فيه الشتاء، فوافق السلطان على ذلك مقابل دفع خمس الغنائم له⁹.



فأخذا الأخوة يجاهدون ضد القراصنة المسيحيين وبخاصة الاسبان والبرتغاليين، ولما كانت جربة بعيدة عن ميدان الجهاد الحقيقي في الحوض الغربي للبحر المتوسط حيث كثرت هجمات الاسبان على السواحل الإفريقية فقد اتفقوا مع الأمير الحفصي على نقل مركزهم العسكري من هناك إلى حلق الوادي في أقصى شمال شرق تونس في نفس العام تقريباً¹⁰.

بعد استقرار الأخوين عروج وخير الدين¹¹ في جربة، شرعاً بحلول عام 1512م في شن غارات كبيرة على مختلف السواحل والموانئ الأوربية الغربية وجزرها، مثل سردينيا، ونابولي، بالإضافة إلى تعرضهم إلى السفن الأوربية التي كانت تجوب البحر المتوسط محملة بالبضائع أو الجنود، فغنما من ذلك غنائم هائلة قدما بها إلى جزيرة جربة حيث قاما ببيعها، ودفع خمس الغنائم إلى السلطان، وتصدقا على الفقراء والأهالي. فأزداد كل من السلطان التونسي وأهالي تونس بهما تعلقاً. وذاع صيتهما في كل سواحل غرب البحر المتوسط، وأثارا موجة من الرعب فيها.

قررت اسبانيا إرسال أسطول متكون من 10 سفن للقضاء على الأخوة بربروس ومن معهم من الأتراك. ولكن قبل وصول السفن الإسبانية كان البحاران التركيان قد توجهها إلى جنوة للإغارة عليها. غير أن مخالفة الرياح أجبرتهما على اللجوء إلى سواحل بجاية الجزائرية¹².

3- محاولة تحرير بجاية¹³ من الإسبان: 1512م:

ابتدأ من سنة 1512م بدأ نجم الأخوة الأتراك يخترق الأفاق، وأخذ الناس يسمعون عن انتصاراتهم الرائعة ضد القراصنة الإسبان في عرض البحر الأبيض المتوسط وفي شواطئ الأندلس نفسها. ولذلك اتصل بهم العلماء وأعيان بجاية¹⁴.

لعل أول اتصال لعروج بالجزائر كان سنة 1512، حين طلب منه أهالي بجاية مساعدتهم على طرد الإسبان واستعادة مدينتهم المحتلة منذ عامين هذه الدعوة سوف تحدث منعرجاً كبيراً في حياة عروج ورفاقه القراصنة، كما سوف تحدث منعرجاً كبيراً في التطور السياسي للجزائر والمغرب.

جاء عروج إلى بجاية في شهر أوت 1512م على رأس 12 قطعة بحرية محملة بالمدفعية والذخيرة وألف تركي وبعض الأهالي، واصطدم في معركة بحرية قباله بجاية، بمجموعة من السفن الإسبانية التي تمكن من إغراق سفينتين منها والاستيلاء على الأخرى وفتح نيران مدافعه على تحصين رئيسي من تحصينات بجاية المتمثل في قلعة كان بيدرونافارو، قد أعاد بنائها، في الوقت الذي نزلت فيه قوات الأهالي البرية نحو المدينة. بعد ثمانية أيام من الحصار والقصف المدفعي أصدر عروج أمر الاقتحام العام، لكن كذيفة سقطت على ذراعه الأيسر



أوقفت العمليات، وتفرق الجمع البري والبحري. واتجه عروج نحو تونس، بعد أن فقد أخاه إلياس في هذه المحاولة الأولى¹⁵.

4- التمركز في مدينة جيجل: 1514م:

قد أثرت خيبة بجاية في نفس عروج وأدرك أن تمركزهم بحلق الوادي يبعدهم عن ميدان المعركة ولا يساعد على التفوق على الإسبان، ولذلك قرروا البحث عن مركز جديد لهم يكون قريبا من بجاية ووجدوا ان جيجل أحسن مكانا لهم للتمركز والاستعداد، وكانت مدينة جيجل بين إفريقيا وإيطاليا¹⁶.

والجدير بالذكر أن "الجنوبيين" كانوا يحتلون جيجل منذ سنة 1260م، حيث جعلوا منها مركزا للتبادل التجاري بين إيطاليا وإفريقيا. ثم بدأ المركز يفقد أهميته شيئا فشيئا إلى أن تغلب أهل البلاد على الحامية.

ولكن الأميرال أندري دوريا أعاد احتلال جيجل، وأخرج أهلها منها، ووضع بها حامية تعمل لحساب "جنوة"¹⁷. حتى يعيد للمركز أهميته الأولى. وقد كان ذلك بعد فشل المحاولة الأولى لتحرير بجاية التي قام بها الأخوين بربروس في 1512م وقد طلب أهالي جيجل من عروج التدخل لتحرير مدينتهم من الاحتلال، فأجابهم عروج إلى ذلك، وهاجم القلعة سنة 1514م حيث تمكن من القضاء على حاميتها الجنوبية. وترك بها 50 جنديا، و3 سفن لحمايتها¹⁸.

كانت الغنائم التي حصل عليها كبيرة بلغ عدد الأسرى حوالي 600 أسير. الذي أرسلهم عروج إلى السلطان العثماني، تحت رقابة أحد قراصنته يعرف باسم محي الدين رايس. هذه المرة الأولى التي يتصل فيها عروج بالدولة العثمانية في اسطنبول، على ما يبدو. لقد بايع الجميع عروج سلطانا لجيجل. ويبدو أنه منذئذ أخذ يبتعد عن الدولة الحفصية في تونس، لأنه كان يعلم أن الحفصيين يسعون لاسترجاع العديد من الأقاليم التي كانت لهم في الماضي القريب، ومنها منطقة جيجل. لهذا بدأ يتقرب من الدولة العثمانية حيث نقل مقره من تونس إلى هذه المدينة الحصينة بالسلسلة الجبلية التي تحيط بها، والتي توفر ملجأ منيعا في حالة الشدة. لعل هذا ما يفسر تنظيمه للحملة الثانية على بجاية من دون علم الحفصيين¹⁹.

5- المحاولة الثانية لتحرير بجاية: 1514م:

بعد الاستقرار في مدينة جيجل أهتم عروج وإخوته بأمر المسلمين المضطهدين بالأندلس فأخذوا يترددون بأسطولهما على شواطئ الأندلس وينقلان المهاجرين إلى شمال إفريقيا ولم يكتفوا بهذا بل أغار خير الدين على جزر البليار وأسر ما يقرب من ستة ألف أسير إسباني



كانتقام من الإسبان، ونظرا للنجاح الذي حققه عروج بجيجل فقد بايعه سكانها أميرا عليهم واستحثه شيوخ القبائل وأمير جبل كوكو²⁰. أحمد بن القاضي على إعادة الكرة على الإسبان في بجاية فنظم حملة عليهم سنة 1514م بجيش بري وحاصرها ما يقرب من ثلاثة شهور دون جدوى واضطر إلى رفع الحصار، وكرر المحاولة في ربيع العام الموالي بقوة برية كبيرة ولكن نفاذ الذخيرة الحربية وامتناع الأمير الحفصي بتونس عن تزويده بالذخيرة اضطره إلى الانسحاب منها بعد أسر عدة مئات من الإسبان 600²¹.

فشل الأتراك للمرة الثانية في تحرير بجاية، ولكن الفشل في هذه المرة كان بسبب خذلان الملك الحفصي لهم، بامتناعه عن تزويدهم بما يحتاجون إليه من البارود. لقد كان السلطان الحفصي يعلم يقينا أن دوره سيأتي يوما ما. ولذلك فإن منطقة المحافظة على العرش جعله يغض الطرف عن مصالح بلده وشعبه. ففضل أن تبقى المدينة تحت الاحتلال على أن تتحرر، خوفا من أن يجلس على عرشها جميع رجال الحامية الإسبانية.

ونحن قد يسهل علينا فهم الظروف التي قد تدفع بمثل هذه القبائل إلى التخلي عن القتال كلما تغيرت منافعها ومصالحها، ولكن الذي لم نفهمه هو سبب انسحاب الجنود الأتراك. إلا أنه يقال بأن تأخر وصول البارود، وانصراف القبائل أوجد شعورا بالإحباط واليأس من فتح القلعة فتركوا القتال غير المجدي، مما أجبر عروج إلى رفع الحصار والانسحاب إلى جيجل²².

6- المحاولة الأولى لتحرير قلعة البنيون: 1515م:

سارع سكان مدينة الجزائر عندما رأوا سقوط وهران وبجاية في يد الإسبان، وتعرض أهاليهما إلى التقتيل والتعذيب والاسترقاق، خشوا أن يصيبهم ما أصاب المدينة فأرسلوا وفدا إلى اسبانيا برئاسة الشيخ سالم التومي²³، بمشاركة وفد عن مدينتي تنس ودلس، للاتفاق على شروط معاهدة تضمن لهم سلامتهم وسلامة مدينتهم. وبالفعل تمكن الوفد من عقد اتفاقية تضمنت شروطا كثيرة أهمها: أن يدفع الأهالي جزية سنوية للإسبان، وأن يسمحوا لهم ببناء قلعة على الجزيرة المقابلة للمدينة التي عرفت فيما بعد بقلعة البنيون²⁴.

لقد كانت تلك القلعة تهدف إلى إخضاع المدينة ووضعها تحت مراقبة الحامية الإسبانية. وعند تأخر المدينة في دفع الجزية السنوية المتفق عليها، أو نشوب أي خلاف، كان الإسبان يقومون بقصف المدينة بمدافعهم المنصوبة على أسوار القلعة. وهكذا وجد أهالي مدينة



الجزائر أنفسهم تحت حصار محكم، لا يقدرّون بسببه على القيام بأي نشاط بحري دون إذن الحماية الإسبانية.²⁵

كانت المدينة مضطربة، استلامها للإسبان، بسبب الانقسامات التي حصلت بين سكانها، بخصوص تلك الضريبة التي تدفعها لهؤلاء المحتلين. فالشيخ سالم التومي وحاشيته كانوا متمسكين بتطبيق تلك المعاهدة. في حين كان وجهاء المدينة يرون عكس ذلك. عند وفاة الملك الإسباني عمت الفرحة في المدينة واعتبر سكانها المعاهدة انتهت مع موت الملك الذي فرضها، وإن الوقت قد حان لتستعيد المدينة حريتها، من هنا جاءت دعوتهم لعروج ليخلصهم من الحماية الإسبانية في قلعة البنيون، لقد لبى عروج الدعوة، لأنه وجدها فرصة لا تعوض للسيطرة على مدينة الجزائر الأهم بكثير من جيغل الصغيرة، سواء من حيث عدد سكانها أو من حيث أنها كانت مدينة قرصنة أو من حيث موقعها الذي يتوسط سواحل المغرب.²⁶

أعد عروج 16 سفينة بمدافعها وذخيرتها، وأرسلها مع نصف جنوده بحرا. وأما المتبقي والبالغ عدده 800 جندي فقد توجهوا برا إلى مدينة الجزائر. وفي الطريق انضم إليه 5000 من رجال القبائل. فدخل عروج المدينة، حيث استقبله الأمراء والأعيان والعلماء والأهالي على مشارف المدينة مرحبين به ترحيبا حارا.²⁷

اتجه عروج إلى شرشال التي كانت تخضع إلى قارة حسن الذي كان يتعاون مع بعض المهاجرين الأندلسيين ففضى عليه، وسيطر على المدينة ثم عاد إلى مدينة الجزائر وبايعه السكان أميرا للجهاد في سبيل الله.²⁸

وبعد دخول عروج مدينة الجزائر سارع إلى نصب مدافعه مقابل حصن البنيون، وشرع في قصفه لمدة 20 يوما، فكان هذا الفشل غير المتوقع سببا في الشعور بخيبة الأمل لدى بعض الأهالي الذين توقعوا تدمير الحصن والتخلص من الإسبان بسهولة. وزاد الأمر سوءا سلوك بعض الجنود الأتراك الذين بدأوا يعاملون الأهالي معاملة فظة لم يكونوا يتوقعونها، مما أثار موجة عامة من التذمر والسخط.

استغل سالم التومي ومن ولاه من الأعيان الساخطين هذه الفرصة، وشرعوا في إثارة العامة على الأتراك. وكاد الأمر يصل إلى ثورة مضادة تجمع قبيلة الثعالبة بزعامة شيخها سالم التومي، وسكان مدينة الجزائر من جهة، والإسبان المتحصنين في قلعة البنيون من جهة ثانية. اتخذ عروج موقفا حاسما من حركة التمرد، إذ سرعان ما أمر باغتيال الشيخ سالم التومي، وإعدامه بعد استفتاء علماء الجزائر في حكم الشرع في ذلك.²⁹



اعتبر الإسبان استقرار عروج وأخويه بمدينة الجزائر خطرا شديدا عليهم وعلى مستقبلهم لا في هذه المدينة فقط وإنما في كل الشمال الإفريقي، ولذلك عزموا على مقاومتهم وتحطيم سلطتهم وطردهم وتحالفوا مع أمير تنس الخاضع لهم واستمالوا عليهم أشياح سالم التومي وبعض زعماء القبائل المجاورة للمدينة بواسطة عملائهم وجواسيسهم، ثم وجهوا من وهران حملة كبيرة بقيادة حاكمها الأسباني "ديكو دوفيرا" وصلت إلى الجزائر أواخر شهر سبتمبر 1516م ونزلت قرب باب الواد، وتركهم عروج حتى نزلوا إلى البر ثم أخذ يناوشهم لاستنزاف قوتهم وطاقتهم وأغتنم فرصة تقهقرهم وظهور ربح شمالية فزحف بقواته عليهم وأغرق الكثير منهم وقتل البعض وأسّر البعض الآخر. وكانت هزيمة الذين لم يخفوا ابتهاجهم وفرحتهم في المدينة وأحوزها مما دفع سكان البلدة ومليانة والمدينة ودلس، وبلاد القبائل إلى مبايعة عروج وإعلان الخضوع والطاعة له فامتد نفوذه وتوسع نتيجة لذلك.³⁰

7- تحرير قلعة تنس 1518م:

في إطار الصراع على العرش الزياني، ثار الأمير الثابتي على عمه أبي حمو الثالث الذي اغتصب العرش من ابن أخيه أبي زيان الثالث الملقب بالمسعود وسجنه. وأيد الأسبان الأمير الثابتي في صراعه مع عمه، وأرسلوا إليه سفينة حربية مشحونة بالجنود، وقصدوا تنس حيث تمكنوا من الاستيلاء عليها بدعوى حماية أميرها. فبعث أهاليها إلى عروج يستدعونه لتخليص مدينتهم من الأسبان ومن عميلهم الذي اعتبره خائنا لهم بخضوعه للأسبان. فما كان من عروج إلا أن بعث إليهم أخاه خير الدين على رأس حملة عسكرية. وعندما وصل خير الدين إلى سواحل تنس لجأ الأسبان إلى القلعة متحصنين بها. إلا أن الثابتي لم يلبث أن لاذ بالفرار تحت جنح الظلام بمن معه من الجنود الأسبان.³¹

8- حملة عروج على تلمسان ونهايته الأليمة (1518م):

كانت تلمسان مسرحا للتنافس على الحكم بين أفراد البيت الحاكم الزياني. إذ تنازعه أبو حمو الثالث، وابن أخيه أبو زيان المسعود. فأتجه الأول إلى الأسبان مستنجدا بهم ليساعدوه في الوصول إلى الحكم؛ بينما التجأ أبو زيان إلى عروج طالبا نجده وإنقاذ البلاد من التدخل الأسباني.

وقد أدى اعتراف الملك الزياني أبي حمو الثالث باحتلال الأسبان لوهران³²، واعترافه بفرض الحماية الأسبانية على تلمسان سنة 1512م³³، إلى ظهوره بمظهر الخائن أمام شعبه. فأدى ذلك إلى انفضاض الناس عنه، وراحوا يبحثون عن قيادة جديدة. وهكذا فما كادت الحملة



الاسبانية الثانية لإعادة احتلال مدينة الجزائر تبوء بالفشل، حتى أرسل أهالي تلمسان إلى عروج يدعونه لتخليص مدينتهم من الوصاية الاسبانية المفروضة عنهم.³⁴

بعث عروج إلى الجزائر يطلب المدافع، فأرسلها أخوه خير الدين عبر البحر. سار عروج من تنس ليلبلغ قلعة بني راشد، التي استقبله سكانها بحفاوة بالغة. وكانت القلعة تضمن الاتصالات بين تلمسان ومدينة الجزائر. ترك عروج فيها مائتي جندي مسلحين بالبنادق، يقودهم أخوه إسحاق. سارقاصدا تلمسان إلى أن صادف أبو حمو في جيش كبير، حوالي تسعة آلاف جندي، فهزمه فلما بلغ تلمسان حظي بحفاوة الاستقبال من طرف سكانها، في حين التحق أبو حمو بوهران ليطلب دعم الاسبان. نصب عروج أبا زيان الثالث المسعود على عرش تلمسان، ثم خرج يتنقل في نواحي المنطقة الغربية. وأمام ذلك اضطرب الوضع السياسي في عاصمة بني زيان في غيابه، إذ عاد إليها ما كان من فتن ودسائس.³⁵

تخلص الملك الجديد من التبعية للأتراك، بينما كان أشياخ أبي حمو يطالبونه بالتخلي عن العرش، عاد عروج إلى المدينة، فأمر بقتل أبي زيان وأنصاره. هذا في الوقت الذي حصل فيه أبو حمو على الدعم المادي والبشري الاسباني واستعد للسير إلى تلمسان.³⁶

وهكذا تعاون الاسبان وأبو حمو مع بعض الموالين لهما بالبلاد وشنوا حملة على قلعة بني راشد واحتلوها وطردوا منها صاحبها إسحاق بن يعقوب ثم قتلوه في الطريق أواخر جانفي 1518م، ووالوا السير إلى تلمسان وفرضوا عليها حصارا شديدا وأضطر عروج أن يعتصم بالمشور.³⁷ عدة أيام. ثم غادرها ليلا في اتجاه بني زيناسن قرب ساحل البحر، ولكن الاسبان تفتنوا لخروجه وتتبعوه واغتالوه بين المالح (ريو صالادو) وزاوية سيدي موسى في سنة 1518م، وحزوا رأسه وأرسلوه إلى اسبانيا حيث طيف به في معظم مدينها ومدن اوربا الأخرى كما أرسلوا جلبابه الذي كان يلبسه إلى كنيسة القديس "جبروم" حيث اتخذوه شارة لهم.³⁸

9- إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية:

بعد استشهاد عروج بقي خير الدين أخوه حاكما على الجزائر، فاستعصت عليه الأمور لما رأى من كثرة المتآمرين عليه من الحفصيين بتونس ومن الأمير الزياني أبي حمو بتلمسان بتحريض من الاسبان، هذا بالإضافة إلى الثورات الداخلية التي اندلعت في جهات مختلفة ضد حكم خير الدين مثل ثورة زواوة.³⁹ ببلاد القبائل بقيادة احمد بن القاضي وتمرد كل من سكان تنس وشرشال، عندئذ أدرك خير الدين انه لا يستطيع أن يحتفظ بالجزائر لوحده، فعزم على مغادرتها، وقبل ذلك جمع أعيان وعلماء مدينة الجزائر وقال لهم كما ذكر محمد ابن رقية



التلمساني: في مؤلفه "الزهرة النائرة في ما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة":
إني تركت فيكم من المجاهدين، ومن وصل إليكم من أهل الأندلس، وما تركت عندكم من
العدة، لأنني تركت في بلادكم أكثر من أربع مئة مدفع، ولم يكن في بلادكم مدفع واحد⁴⁰.
فقالوا كلهم له: "أيها الأمير لا تطيب أنفسنا بفراقك ولا نسمح لك بذلك. فإله الله أمة
سيدنا محمد فإن الله يسألكم عنهم". ومن جملة ما خاطبه به العلماء أنهم قالوا له: "أيها
الأمير يتعين عليك الجلوس في هذه المدينة لأجل حراستها والذب عن ضعفاء أهلها ولا
رخصة لك في الذهاب عنهم وتركهم عرضة للعدو". وبعد تفكير عميق عرض عليهم خير الدين
إلحاق الجزائر بالسلطنة العثمانية وكانت آنذاك في أوج قوتها، وهذا بعد أن بين لهم أهمية
الانضمام من النواحي الدينية والإستراتيجية، وكان خير الدين يهدف من وراء ذلك تدعيم قوته
العسكرية وإكساب حكمه للجزائر الصفة الشرعية بكونه ممثلاً للسلطان. فوافق أهل المدينة
على رأيه عندئذ أمرهم أن يكتبوا على لسانهم كتباً إليه يخبرونهم بصرف طاعتهم إليه⁴¹.
ارتاح خير الدين لهذا الموقف التاريخي والواعي والمسئول، وعرض على أعيان الجزائر فكرة
طلب الحماية من السلطان العثماني سليم الأول ودعمهم بالعتاد والرجال فقبل أهل المدينة هذا
العرض بكل ارتياح وفعلوا عمل خير الدين على إرسال بعثة إلى السلطان العثماني موجهة باسم
القضاة والخطباء والعلماء والأئمة والتجار والأعيان وكافة سكان المدينة وأهلها يحملون فيها
رسالة مكتوبة باسمهم يعرضون فيها استعدادهم لطاعة السلطان العثماني ويطلبون منه
نجدتهم في مواجهة الأخطار التي تهددهم خاصة من الأسبان⁴².

وقد تزعم البعثة الفقيه العالم أبو العباس أحمد بن القاضي ، من خلال تلك الرسالة التي
كانت تفيض بالولاء للسلطان العثماني، والثناء على خير الدين حيث جاء فيها بشأن «... هذا
الأخير قد أظهر مزيداً من الشجاعة والجندية عندما قادنا إلى الجهاد في سبيل الله، بنية حسنة
وقلب صادق متفق الكلمة معنا في الشدة والرخاء لإعلاء كلمة الله...»، يتبين لنا أن خير الدين
استحق أن يخلف أخاه عروج في حكم مدينة الجزائر فقد رأى فيه سكانها أنه يمثل الحاكم
المسلم الأمثل لشمال إفريقيا، و بالتالي انطلق خير الدين في قيادة عملياته ونشاطه العسكري ضد
النصارى بهدف تحرير سواحل شمال إفريقيا خاصة من عدوه الأول الأسبان، كما أن استعانة
أهالي الجزائر بالدولة العثمانية وفرض الولاء والطاعة للسلطان العثماني في اسطنبول كان له
مغزى كبير وهو أن خير الدين أدرك بحنكته العسكرية وعبقريته السياسية في تدبير شؤونه في
قادة العمليات وخوضه حرباً مع قوى كبيرة ذات سلطة واسعة كإسبانيا والبرتغال أنه بحاجة



ماسة إلى حليف قوي يعينه على التصدي لهذه الأخطار التي تهدده، وبالطبع فقد كانت الخلافة العثمانية هي القوة الإسلامية المرشحة لهذا التحالف.⁴³

كانت الرسالة التي بعث بها أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان العثماني سليم الأول مؤرخة في أوائل ذي القعدة سنة 952 هـ بين 26 أكتوبر ونوفمبر 1519 وبالعودة إلى الظروف الدولية والمحلية التي تزامنت مع تاريخ هذه الرسالة حمل معه العديد من الأحداث والتطورات، وكانت أهم هذه الأحداث قد مست اسبانيا حيث تم انتخاب شارلكان⁴⁴ إمبراطورا على الدولة الرومانية المقدسة، وكذلك فقد تم فتح الشام ومصر من طرف السلطان العثماني سليم الأول الذي انتصر على المماليك في موقعتي مرج دابق 1516م، والريدانية 1517 م، وتم فيها أيضا اخذ الشرعية واكتساب لقب الخليفة الذي حملت معه الدولة العثمانية اسم الخلافة العثمانية ورعاية المسلمين في العالم خاصة بعد تسلم مفاتيح الحرمين الشريفين، وهو ما أعطى الدولة العثمانية وسلطانها فيما بعد مكانة مرموقة ومقدسة خاصة لدى المغاربة، الذين عبروا عن تحالفهم الفعلي مع العثمانيين عندما رفضوا في مصر الانضمام إلى قوات السلطان المملوكي طومان بأي في حربه ضد العثمانيين حيث ردوا عليه بقولهم: «... لا يقاتلون سوى الفرنج، لا يقاتلون المسلمين» ، ويعتبر هذا الموقف من المغاربة موقفا سياسيا وعسكريا منسجما مع عقيدتهم ومع موقف الدولة العثمانية منهم، حيث كانت تحترم العلماء المغاربة.⁴⁵

قام السلطان سليم الأول⁴⁶ بإرسال نحو (2000) جندي مسلح بالبنادق وعدد من رجال المدفعية وفتح باب التطوع للراغبين من أهالي الأناضول في الذهاب إلى الجزائر مقابل تحمل الباب العالي تكاليف السفر وإعطائهم امتيازات تضاهي امتيازات الانكشارية الذين كانوا يمثلون الجيوش الممتازة التي تساق من الطبقات الفقيرة في الأناضول ثم تصبح طبقة أرستقراطية، وإمارة في الجزائر أعطى الحكم العثماني للجزائر اسمها الحديث الذي بدأت تعرف به ومنذ ذلك التاريخ بعدما كان مقتصرا فقط على المدينة التي أصبحت مركز الحكومة العثمانية، وادخل العثمانيون مفهوم الحدود السياسية إلى المغرب العربي الحديث ، بعد القضاء على الفوضى الداخلية التي كانت سائدة في اغلب مناطق الجزائر، وتوحيد القوى لمواجهة الخطر الأوربي المحيط بهم.⁴⁷

أعلنت تبعية الجزائر رسمياً للدولة العثمانية بمنح خير الدين لقب (بيگلربيك) أو بايلر باي بمعنى (أمير الأمراء) ونائب السلطان والعامل باسم الباديشاه، وبذلك تكونت إيالة (ولاية) الجزائر، ودعي للسلطان العثماني على المنابر وضربت السكة باسمه ، وخضعت إدارة الجزائر



لإدارة خاصة ضمن منظومة أوجاق الغرب، وبذلك نظم خير الدين الجزائر بعد إن أصبحت إيالة عثمانية تنظيماً عسكرياً، لم يطرأ عليها تغيير كبير حتى الاحتلال الفرنسي لها سنة 1830 م⁴⁸.

10- دوافع انضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية:

يمكن إيجاز أسباب انضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية إلى الدوافع في النقاط التالية:

- الدفاع عن موانئ المغرب العربي وحماية سكانها وتقديم المساعدة لمسلمي الأندلس المضطهدين⁴⁹.

- إدراك خير الدين لمحدودية قدراته العسكرية بالمقارن مع الإمكانيات الهائلة التي يملكها الأسبان، والتي جعلت منهم دولة قادرة على خوض العديد من الحروب في اسبانيا وشمال إفريقيا ضد المسلمين، وفي أوروبا ضد البروتستانت، وضد ملك فرنسا منافس شارلكان على زعامة أوروبا، فضلاً عن تقديم مختلف أشكال الدعم للنمسا لكي تتمكن من التصدي لحملات العثمانيين في شرق أوروبا.

- إن معرفة خير الدين لموازين القوى في الصراع الإسلامي - المسيحي جعلته يرجح ضم جهده إلى أقوى دولة إسلامية في ذلك العصر، أي الدولة العثمانية. فهي وحدها التي كانت مؤهلة لضم الجزائر إلى ممتلكاتها، وبالتالي: حمايتها بدعمها بالمال والعتاد والرجال عندما يقتضي الأمر ذلك⁵⁰.

- تخوفه من الزعماء المحليين في الجزائر. سواء كانوا أمراء أو شيوخ قبائل أو أعيان مدن. فقد رأى من خلال سابق تجربته معهم مدى استعداد هؤلاء الزعماء للثورة والتمرد عند أول فرصة تتاح لهم. كما أدرك مدى قدرتهم على تهبيح العامة ضد الأتراك مستعملين سلاح الترغيب تارة والترهيب تارة أخرى. والأسوأ في هذا كله، الاستعداد الكثير منهم الارتقاء في أحضان الأسبان، حتى ولو كان ذلك على حساب الدين والوطن. وطالما أن حكام الشمال الإفريقي في هذه الفترة كانوا على هذه الشاكلة، فلا غرابة في ارتياب في الولاءات الفورية التي كان يبديها هؤلاء الزعماء، لينقضوها بنفس السرعة عندما تتاح لهم الفرصة. وعلى هذا فإن سعي خير الدين لجعل الجزائر إيالة عثمانية، غنما كان يرمي إلى البحث عن صمام أمان في وجه أي حركة تمرد أو غدر يمكن أن يقوم بها لزعماء المحليون في أثناء انشغاله بأعداء الخارج.

- عدم وجود قوة إقليمية في منطقة صراع شمال إفريقيا يمكن التحالف معها، أو حتى الانضمام إليها لمواجهة الخطر الإسباني⁵¹.



11- نتائج انضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية:

حقق انضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية أهدافا سياسية وعسكرية كثيرة أهمها تأمين حدود مصر الغربية، وتوسيع ممتلكات الدولة العثمانية دون أن تتحمل أية تبعات عسكرية أو مالية كبيرة كما تحملت ذلك في مصر والشام.

كما جعلت الدولة العثمانية الجزائر ولاية ذات وضع خاص، فعرفت بناء على ذلك بنيابة الجزائر. ذلك لأن طبيعة موقعها وظروفها حولتها إلى قاعدة للوجود العثماني في غرب البحر الأبيض المتوسط. فصارت تبعا لذلك مسئولة عن إدارة شؤون الحكم في طرابلس الغرب، في المرحلة الأولى من الوجود العثماني في شمال إفريقيا. كما أكلت إليها مهمة إلهاء الاسبان عن المشاركة في حروب أوروبا ضد الدولة العثمانية في النمسا والمجر، وذلك بالتصدي للعدوان الاسباني على سواحل شمال إفريقيا، وتأمين عمليات إنقاذ المسلمين في الأندلس⁵².

كما كان من أثر ذلك أن سادت موجة عامة من الرعب في أوروبا، خصوصا في اسبانيا عند إعلان انضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية. لأن هذا الانضمام كان يعني بالنسبة لها وصول الخطر العثماني ليس لتهديد قواعدها العسكرية المتناثرة في شمال إفريقيا فحسب، بل يتعدى ذلك إلى تهديد وجودها في الأندلس التي مازال هاجس إعادة فتحها من طرف الأتراك العثمانيين يلوح لهم في كل حملة يقوم بها الغزاة. بل وتؤكد هذا الرعب حينما عزم السلطان سليمان القانوني على فتح روما، بعد استيلائه على مملكة نابولي. فأرسل لأجل ذلك الأسطول العثماني بقيادة خير الدين بربروس لاحتلال أولونيا الواقعة على ساحل البحر الادرياتيكي، وذلك في سنة 1537م⁵³.

ومنح خير الدين⁵⁴ بعد لقائه بالصدر الأعظم إبراهيم باشا في حلب لقب بيلرباي، وهو أرفع المناصب السياسية في الدولة العثمانية والذي كان بمثابة نائب السلطان على تلك المناطق. لقد كان هذا المنصب يخوله مسؤوليات إدارية واسعة، وتجعل منه قائدا عاما للجيش، وممثلا للسلطان في إقليمه⁵⁵.

ولا خلاف في أن انضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية يمثل بداية مرحلة جديدة في تاريخ الجزائر. فقد شهد هذا العصر ميلاد دولة جزائرية جديدة تقريبا على نفس الحدود الجغرافية التي تتمدد عليها الآن. فتحققت بذلك الوحدة الجغرافية والسياسية للدولة الجزائرية الناشئة



على نحو لم يحدث من قبل. الأمر الذي أفضى لاحقا لبروز الأهمية السياسية والعسكرية للجزائر خلال الفترات اللاحقة من هذا التاريخ، باعتبارها لاعبا إقليميا يساهم في صناعة السياسة الدولية لغرب البحر المتوسط⁵⁶.

ومن جهة أخرى أدى بروز الجزائر على ساحة الأحداث الدولية في ذلك العصر إلى جعل "شارلكان" يتخبط في سياسته الدولية بين الاستمرار في تثبيت وجوده في أوروبا، وتصديه لحروب البروتستانت وفرنسا، وبين التفريغ الكامل للمسألة الجزائرية التي تؤرقه بغارات بحارتها على السواحل الإسبانية وسائر السواحل الأوروبية المطلة على البحر المتوسط⁵⁷.

كما كان من اثر انضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية أن أهالي طرابلس الغرب⁵⁸ عندما رأوا الدعم المادي والمعنوي الذي حظي به أهالي الجزائر نتيجة لانضمام بلادهم إلى الدولة العثمانية، أن يبعثوا في سنة 1519م وفدا عنهم يعرضون فيه تبعيتهم للسلطنة العثمانية، وذلك بغية تخليصهم من الاحتلال الاسباني. فاستجاب لهم السلطان العثماني، وعين لهم واليا يدعى مراد آغا لمعرفته باللغة العربية⁵⁹.

12. خاتمة:

من خلال ما عرضناه سابقا حول أسباب وعوامل الوجود العثماني بالجزائر مع بداية القرن السادس عشر الميلادي، والذي استهل هذا التواجد مع الأخوة بربروس، هؤلاء البحارة الذين كانوا يجوبون البحار ويمارسون مهنة الجهاد البحري، كان لهم الدور الكبير في تحرير معظم السواحل الجزائرية وظلم الجزائر تحت لواء الخلافة العثمانية، ليكمل خلفاؤهم مسيرة البناء والتحرير إلى غاية التحرير النهائي للسواحل الجزائرية سنة 1792م بعد تحرير وهران والمرسى الكبير من الاحتلال الاسباني.

لكن هذا التواجد لم يكن صدفة ولم يكن حبا في اعتلاء السلطة والشهرة لهؤلاء البحارة، ولكن كانت ورائه العديد من الأسباب، ولعل من أهمها طلب سكان الجزائر من هؤلاء أن يحرروهم من براثن الاحتلال الاسباني الذي احتل بلادهم وعاث فسادا في مناطقهم وانهكهم وقيد حريتهم وسلط عليهم قوانينه، ورغم أن البعض من سكان الجزائر وقف موقف مريب والبعض الآخر رفض مساعدة هؤلاء، إلا أن معظم سكان الجزائر رحبوا بالبحارة الأتراك بعد



ما ذاع صيتهم وانتشرت شهرتهم وانتصاراتهم في الآفاق، فعلى غرار سكان جيجل وبجاية وقف سكان الجزائر مع خير الدين من أجل تحرير المدينة من الاحتلال الأسباني.

ورغم ما واجهه الأخوة بربروس من تحديات جمّ في الجزائر خاصة قلة امكانياتهم المادية والبشرية، ووقوف بعض الزعماء والشيخوخ ضدهم مثل سليم التومي حاكم مدينة الجزائر وغيرهم، إلا أنهم واصلوا في تحقيق هدفهم وعملوا على اعلاء كلمة الله في البلدان التي تواجدوا بها. وكان لهم الدور الكبير في ضم الجزائر للخلافة العثمانية بداية من سنة 1519م، لتصبح الجزائر ولاية عثمانية لها شأن كبير في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط طيلة ثلاثة قرون من الزمن، وهذه المكانة التي وصلت إليها الجزائر كان نتيجة عدة عوامل متراكمة وقبلها مجموعة من الأسباب التي فرضت على هذه المنطقة من مواجهة التحديات المحيطة بها خاصة الزحف الصليبي على أراضيها، ونتيجة لذلك قام الاخوة بربروس ببناء اللبنة الأولى لهذه الدولة وواصل خلفاؤه من بعده في تطويرها حتى وصلت مكانتها إلى مصاف الدول الكبرى، بل نجد أن الدول الكبرى الأوروبية والأمريكية كانت خاضعة لقوانينها ومبادئها. فاجتمعت حنكة الرجال وقوة الأسطول البحري، والدعم العثماني خاصة في الفترات الأولى من الحكم العثماني للجزائر، لتجعل من الجزائر قوة اقتصادية وعسكرية، بل وأصبحت سيدة البحار على مدى ثلاثة قرون من الزمن.

13. هوامش:

- ¹ شوقي عطا لله الجمل: المغرب العربي الكبير، ط1، المكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 2009، ص 95
- ² محمد دراج: الدخول العثماني إلى الجزائر، ط1، الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 178-179.
- ³ إيزابيلا الكاثوليكية ملكة قشتالة أكبر الممالك الصليبية في إسبانيا، وزوجة فرناندو ملك أراجون، وبزواجهما اتحدت إسبانيا النصرانية لأول مرة منذ الفتح الإسلامي، وكان هذا الزواج سنة 875هـ. 1469م، وقد أقدمت إيزابيلا على هذا الزواج على الرغم من معارضة أخيها ملك قشتالة «هنري» ذلك لأن زوجها «فرناندو» قد تعهد لها بمواصلة حرب المسلمين حتى تسقط غرناطة، بل إن إيزابيلا قد جعلت هذا التعهد أحد شروط زواجها من فرناندو ينظر: <http://islaammemo.cc/zakera/methl-haza-elyawm/2012/05/06/>
- ⁴ محمد دراج: المرجع السابق، ص 179.
- ⁵ يعى بوعزيز: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، 2009 الجزائر، ص 11-10



⁶ قانصوى الغوري يعد الملك السادس والأربعون من ملوك المماليك وأولادهم بالديار المصرية، وهو العشرون من الملوك الجراكسة، كان أصله جركسي الجنس من ممالك الأشراف قايتباي، أعتقه وجعله من جملة المماليك. ثم نودى به ملكا على مصر سنة 906 هـ- 1501 م وظل في ملك مصر إلى أن قتل في معركة مرج دابق شمال حلب سنة 1516 بعد خيانة جان بردي الغزالي وخاير بك له وانضمامهما للجيش العثماني ينظر:

<http://www.marefa.org>

⁷ نفسه، ص 181.

⁸ بايزيد الثاني بن محمد الفاتح هو ثامن السلاطين العثمانيين، عاش بين عامي 1447 و 1512، وتقلد الحكم منذ عام 1481، عرف عنه أنه كان يؤلف الشعر، ويؤلف الموسيقى ويتقن فن الخط العربي ولد بايزيد في القرن التاسع الهجري، وكان أكبر أولاد أبيه السلطان محمد الفاتح. حكم في عهد أبيه مقاطعة أماسيا. تولى السلطنة بعد أبيه بعد أن نازعه أخوه جم عليها. حصلت خلافات في عهده بين دولته والدولة المملوكية وتحاربت الدولتان حربا تم إبرام صلح بعدها. وصلت الفتوحات في عهده لدولة البندقية التي انتصر عليها، فاستنجدت بملك فرنسا والبابا، فقامت حروب صليبية بين الطرفين. ظهرت في عهده دولة روسيا سنة 886 هـ وأرسلت له سفيرها عام 897 هـ أجبر من قبل الإنكشارية في آخر حياته على التنازل عن الحكم لابنه سليم الأول سنة 918 هـ وهي نفس السنة التي توفي فيها. ينظر: <http://www.marefa.org>

⁹ محمد دراج: المرجع السابق، ص 183.

¹⁰ يحيى بوعزيز: المرجع السابق، ص 11.

¹¹ يرجع أصل المجاهدين إلى الأتراك المسلمين، وكان والدهما يعقوب بن يوسف من بقايا الفاتحين المسلمين الأتراك الذين استقروا في جزيرة مدلي إحدى جزر الأرخبيل، وأهمهم سيدة مسلمة أندلسية، كان لها الأثر على أولادها في تحويل نشاطهم شطربلا أندلس التي كانت تئن في ذلك الوقت من بطش الأسبان والبرتغاليين. وكان لعروج وخير الدين أخوان مجاهدان، هما إسحاق ومحمد إلياس. وقد حقق الأخوان العديد من الانتصارات على القراصنة المسيحيين الأمر الذي أثار إعجاب القوى الإسلامية الضعيفة في هذه المناطق. ويبدو ذلك من خلال منح السلطان "الحفصي" لهم حق الاستقرار في جزيرة جربة التونسية، ويرجع بعض المؤرخين التحالف بين الجانبين إلى سنة 1514م في أعقاب فتح عروج وخير لميناء "جيجل" حيث أرسل الأخوان إلى السلطان سليم الأول مجموعة من النفائس التي استوليا عليها بعد فتح المدينة، فقبلها السلطان ورد لهما الهدية بإرسال أربع عشر سفينة حربية مجهزة بالعتاد والجنود، وكان هذا الرد من السلطان العثماني يعكس رغبته في استمرار نشاط دور الأخوين ودعمه. على أن بعض المؤرخين يذكرون أن الدعم العثماني لهذه الحركة كان في أعقاب وفاة "عروج" سنة 1518م وبعد عودة السلطان العثماني من مصر إلى إستانبول سنة 1519م ينظر:

<http://islamstory.com/ar>

¹² محمد دراج: المرجع السابق، ص 188-189.

¹³ بجاية اسم خالد في تاريخ المغرب العربي بشكل عام، والجزائر بشكل خاص، أقام فيها الفينيقيون والرومان والوندال والبيزنطيون خلال عصور غائرة في أعماق الماضي، وعرفها المسلمون حين أصبحت عاصمة للدولة الحمادية، إحدى كبريات الدول الإسلامية المؤثرة التي سادت الشمال الأفريقي فترة من الزمن. ومدينة بجاية هي



ثاني عاصمة لدولة بني حماد ، أما عاصمتهم الأولى فقد كانت مدينة القلعة المشهورة بـ "قلعة بني حماد" التي اختطها الأمير حماد بن زيري بن مناد بن بلكين ، في حدود عام 398هـ (1007 - 1008م). للمزيد ينظر: <http://midad.com/article/197375>

¹⁴ يحيى بوعزيز: المرجع السابق، ص 11.

¹⁵ صالح عباد: الجزائر خلال الحكم التركي، دار هومة، ط3، الجزائر 2011، ص 44.

¹⁶ يحيى بوعزيز: المرجع السابق، ص 12.

¹⁷ جنوة مدينة شمال غرب إيطاليا عاصمة إقليم ليغوريا وعاصمة مقاطعة جنوا ، ميناءها الأهم في إيطاليا وأحد أكبر موانئ البحر الأبيض المتوسط وعلى مقربة من الحدود الفرنسية، المركز التاريخي للمدينة أعدته اليونسكو ضمن مواقع التراث العالمي. تم تأسيس مدينة "جنوا" في القرن السادس قبل الميلاد من قبل القبائل "الليغورية" الأصلية، وقامت روما بالاستيلاء عليها بعد مرور أربعة قرون من ذلك الوقت، ينظر: <http://www.marefa.org>.

¹⁸ محمد دراج: المرجع السابق، ص ص 191-192.

¹⁹ صالح عباد: المرجع السابق، ص 45.

²⁰ إمارة كوكو أسسها القاضي سيدي أحمد وألقاضي، سنة 1510م، اشتملت على بلاد زواوة التاريخية أو بلاد القبائل. دامت من 1510 إلى 1857 وقرية كوكو هي قرية قبائلية من بلدية آيت يحيى من دائرة عين الحمام، من ولاية تيزي وزو الجزائرية ينظر: <https://ar.wikipedia.org>

²¹ يحيى بوعزيز: المرجع السابق، ص 12.

²² محمد دراج: المرجع السابق، ص ص 197-198.

²³ سالم التومي زعيم قبائل الثغالبية وحاكم الجزائر، والذي اغتاله فيما بعد القائد العثماني البيلرباي عروج

عن طريق مكيدة مدبرة رغم أن الشيخ سالم كان من بين أعيان القطار الجزائري الذين وجهوا نداء النجدة

للباب العالي لمساعدتهم في صد الاعتداءات الإسبانية ينظر:

<https://tribusalgeriennes.wordpress.com/2014/10/24>

²⁴ محمد دراج: المرجع السابق، ص ، ص 203.

²⁵ نفسه، ص 204.

²⁶ صالح عباد: المرجع السابق، ص 46.

²⁷ محمد دراج: المرجع السابق، ص 207.

²⁸ يحيى بوعزيز: المرجع السابق، ص 13.

²⁹ محمد دراج: المرجع السابق، ص 211.

³⁰ يحيى بوعزيز: المرجع السابق، ص 13-14.

³¹ محمد دراج: المرجع السابق، ص ص 217-218.

³² محمد دراج: المرجع السابق، ص 218.



³³ بن عتو بلبروات، سلاطين مملكة تلمسان الزيانية في مواجهة الإخوة بربروس 1517-1546، مجلة عصور الجديدة، جامعة وهران 1، الجزائر، العدد 02 (عدد خاص)، 2011م، ص 216.

³⁴ محمد دراج: المرجع السابق، ص 218.

³⁵ صالح عباد: المرجع السابق، ص ص 47-48.

³⁶ نفسه، ص 48.

³⁷ المشور هو مصطلح تاريخي، يُستعمل في المغرب الأقصى لوصف الموقع الجامع للقصر الملكي (-دار المخزن)، وقصر العدالة، قصر الضيافة، حدائق السلطان والحي السكاني للوزراء والأعيان. وفي الجزائر تلمسان هو القلعة القديمة التي بناها يغمراسن وتحولت فيما بعد إلى إقامة رسمية لبني عبد الواد ملوك تلمسان. ويتحدث محمد التنسي عن بنايات عجيبة وأجنحة عالية جدا وحدائق غناء. كما يشير الإدريسي خلال القرن 16 إلى الهندسة الرائعة للبنائيات ينظر: <https://ar.wikipedia.org> وكلمة مشور مشتقة من الشورى فمعناها المكان الذي يتشاور فيه السلطان مع وزرائه ينظر: الحاج محمد بن رمضان شاوش: باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، 2011، الجزائر، ص65.

³⁸ يحيى بوعزيز: المرجع السابق، ص15.

³⁹ الزواوة: اختلف المؤرخون في نسب الزواوة، والزواوة قبائل كثيرة مشهورة، ومواطنهم ومسكنهم بشمال إفريقية يجعلهم البحر الأبيض المتوسط الممتد من خليج مدينة الجزائر إلى بجاية إحدى عواصمهم وإلى جيجل نصف دائرة فهؤلاء هم المعروفون والمشهورون بالزواوة ينظر: أبو يعلى الزواوي: تاريخ الزواوة، مراجعة وتعليق سهيل الخالدي، ط1، منشورات وزارة الثقافة، 2005، الجزائر، ص90.

⁴⁰ عمار عمورة: الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962، ج2، دار المعرفة، الجزائر، دت، ص64.

⁴¹ نفسه، ص65.

⁴² سفيان صغيري: العلاقات العثمانية الجزائرية خلال عهد الدايات في الجزائر 1671-1830م، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، (غير منشورة)، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2012، ص22.

⁴³ نفسه، ص23.

⁴⁴ شارل كان: ملك إسبانيا (1516 . 1556). رأس الإمبراطورية الرومانية المقدسة (1519 . 1556). يُعتبر أحد أعظم الملوك في تاريخ إسبانيا كله. هزم القوات الفرنسية وأسر الملك فرانسوا الأول في معركة بافيا Pavia (عام 1525). أعلن الحرب على البروتستانتية ثم عقد معها صلح أوغسبورغ Augsburg عام 1555. في عهده اتسعت رقعة الإمبراطورية في أوروبا وفتحت إسبانيا أجزاء واسعة من المكسيك وبيرو تخلى عن العرش (عام 1556) واعتزل في أحد الأديرة الإسبانية ينظر: <http://ency.kacemb.com>

⁴⁵ نفسه، ص24

⁴⁶ السلطان الأول واسمه هو غازي ياوز سلطان سليم خان أول، وقد اشتهر باسم سليم الأول، وهو تاسع السلاطين الذين قاموا بحكم الدولة العثمانية، وقد كان سليم الأول أيضًا الخليفة الرابع والسبعون للأمة الإسلامية، وقد أيضًا أول من حمل لقب (أمير المؤمنين) من آل عثمان، وقد كان السلطان سليم الأول قد



استطاع أن يحكم الدولة العثمانية على مدار ثمانية أعوام، وقد كان ذلك بين العام 1512م حتى العام 1520م، فقد كان يطلق عليه القاطع وكذلك لقب العابس من قبل الانجليز. ينظر:

<http://mawdoo3.com>

⁴⁷ مؤيد محمود حمد المشهداني و سلوان رشيد رمضان: أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518-1830، في مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، مج 6، العدد 16، تكريت، 2013، ص 416.

⁴⁸ نفسه، ص 417.

⁴⁹ قدادة شايب: الصراع الإسباني - العثماني في الحوض الغربي للمتوسط وانعكاساته على شمال إفريقيا القرن 16، حولية المؤرخ، العدد: 13-2011، 14 الجزائر، ص 252.

⁵⁰ محمد دراج: المرجع السابق، ص 233.

⁵¹ نفسه، ص 234-235.

⁵² نفسه، ص 236.

⁵³ نفسه، ص 236-237.

⁵⁴ حول نشاط الأخوين بربروس ينظر: مذكرات خير الدين بربروس، ترجمة محمد دراج، ط 1، الأصالة للنشر والتوزيع، 2010، الجزائر، ص 21 وما بعدها.

⁵⁵ محمد دراج: المرجع السابق، ص 237.

⁵⁶ نفسه، ص 239-240.

⁵⁷ نفسه، ص 240.

⁵⁸ لقد عرف الفينيقيون الشواطئ الليبية منذ بداية الألف الأول قبل الميلاد ثم قاموا بإنشاء مجموعة من المدن التجارية به اشتهرت من بينها (لبدة) التي يحتمل أنها أنشأت في القرن السابع ق.م. وأويا وصبراتة اللتان يحتمل أنهما أنشأتا في القرن السادس ق.م. كما تدل المخطافات الأثرية المكتشفة فهما، وقعت طرابلس في سنة 1510 تحت الاحتلال الإسباني اذ تمكن قائد الأسطول الإسباني بيدرو دي نافارو (Pedro di Navarro) من احتلال طرابلس وقلعتها يوم 25 يوليو 1510 وتعود أسباب الاحتلال إلى الصراع الديني الإسلامي المسيحي في تلك الفترة ورغبة ملك إسبانيا فرديناند Ferdinand في جعل طرابلس نقطة انطلاق وتموين للأساطيل الإسبانية لضرب المسلمين في المشرق وتعميرها برمتها بالنصارى. كما أن طرابلس حظت بموقع استراتيجي مهم جعل منها مركزا تجاريا وحلقة وصل بين أوروبا ومدن ما وراء الصحراء الكبرى، فكانت تنعم برفاهية العيش وقوة الاقتصاد واستقرار وامن في الحياة مع فراغ سياسي وعدم وجود سلطة قوية قادرة على الدفاع عنها. ينظر: <http://mirathlibya.blogspot.com/2010/11/25> وللمزيد حول تاريخ تأسيس طرابلس الغرب ينظر كذلك: عزيز سامح: الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة عبد السلام أدهم، ط 1، دار لبنان للطباعة والنشر، 1969، بيروت، ص 19 وما بعدها.

⁵⁹ محمد دراج: المرجع السابق، ص 240.

14. المراجع:



- بن عتو بلهروات، سلاطين مملكة تلمسان الزبانية في مواجهة الإخوة بربروس 1517-1546، مجلة عصور الجديدة، جامعة وهران 1، الجزائر، العدد 02 (عدد خاص)، 2011م.
- يعي بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009.
- محمد دراج: الدخول العثماني إلى الجزائر، ط1، الأصاله للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.
- عمار عمورة: الجزائر بوابة التاريخ، ج2، دار المعرفة، الجزائر.
- بسام العسلي: خير الدين بربروس، ط1، دار النفائس، بيروت، 1980.
- صالح عباد: الجزائر خلال الحكم التركي، دار هومة، ط3، الجزائر، 2011.
- بسام العسلي: خير الدين بربروس، ط1، دار النفائس، بيروت، 1980.
- أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، دت.
- بوزيان الدراجي: أدباء وشعراء من تلمسان، ج1، دار الأمل للدراسات، الجزائر.
- ابن عودة المزارعي: طلوع سعد السعود، ج1، ط1، تحقيق ودراسة، يعي بوعزيز، دار البصائر، 2007، الجزائر.
- شوقي عطا لله الجمل: المغرب العربي الكبير، ط1، المكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 2009.
- عبد القادر فكايير: الغزو الأسباني للسواحل الجزائرية وأثاره (1505-1792)، دار هومة، الجزائر، د س ن،
- الحاج محمد بن رمضان شاوش: باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، 2011، الجزائر.
- أبو يعلي الزواوي: تاريخ الزواوة، مراجعة وتعليق سهيل الخالدي، ط1، منشورات وزارة الثقافة، 2005، الجزائر.
- عزيز سامح: الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة عبد السلام أدهم، ط1، دار لبنان لطباعة والنشر، 1969، بيروت.
- ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي: الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1984.
- ناصر الدين سعيدوني: الشرق الجزائري، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر.
- حنفي هلايلي: أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2008.
- صالح فركوس: تاريخ الجزائر المراحل الكبرى، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر.
- أرزقي شويتام: المجتمع الجزائري وفاعلياته في العهد العثماني، 1519-1830، ط1، دار الكتاب العربي، 2009، الجزائر.
- وليم سبنسر: الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم عبد القادر زبانية، دار القصبه للنشر، 2006، الجزائر.
- أحمد الطويلي: تاريخ مدينة تونس الثقافي والحضاري، ط1، الشركة التونسية للنشر، 2002، تونس.
- ابن المفتي حسين بن رجب شاوش: تقيدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، ط1، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، 2009، الجزائر.
- يعي بوعزيز: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، 2009، الجزائر.



- ج.أ. هابنسترايت: رحلة العالم الألماني إلى الجزائر وتونس وطرابلس 1732م، ترجمة وتقديم وتعليق ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، دت،
- عبد العزيز فيالي: مدينة قسنطينة، دار الهدى، الجزائر، د.ت.
- بومهلة تواتي: عناية بلاد العناب، دار المعرفة، دت،
- مختار حساني: تاريخ تحرير مدينة وهران من الاحتلال الإسباني خلال القرن الثامن عشر ميلادي، ج1، مخبر المخطوطات، جامعة الجزائر، 2003.
- مذكرات خير الدين بربروس، ترجمة محمد دراج، ط1، الأصاله للنشر والتوزيع، 2010، الجزائر.
- خير الدين التونسي: أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، تمهيد وتحقيق، المنصف الشنوفي، مج2، أوربيس للطباعة، 2000، تونس.
- المعاجم والموسوعات:
- محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ط1، دار الفكر دمشق، 1990.
- سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مطبوعات مكتبة المالكفهد، الرياض، 2000.
- الرسائل العلمية:
- سفيان صغيري: العلاقات العثمانية الجزائرية خلال عهد الدايات في الجزائر 1671-1830م، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، (غير منشورة)، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2012.
- الدوريات:
- مؤيد محمود حمد المشهداني و سلوان رشيد رمضان: أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518-1830، في مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، مج6، العدد، 16، تكريت، 2013.
- تلمساني بن يوسف: السلطة العثمانية في مواجهة الطريقة التجانية في الجزائر، في مجلة حولية المؤرخ، العدد، 8-7.
- قدارة شايب: الصراع الإسباني - العثماني في الحوض الغربي للمتوسط وانعكاساته على شمال افريقية القرن 16، في حولية المؤرخ، العدد: 13-2011، 14 الجزائر.
- قرياش بلقاسم: معاهدة الصلح والسلام بين بريطانيا العظمى والجزائر 1682م من خلال وثيقة أصلية، في مجلة الدراسات التاريخية، العدد، 18، ماي 2015، الجزائر.
- المواقع الإلكترونية:

- <https://ar.wikipedia.org/wiki>
- <http://www.marefa.org>
- <https://tribusalgeriennes.wordpress.com/2013/09/19>
- <http://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar>
- <http://islaamemo.cc/zakera/methl-haza-elyawm/2012/05/06/>
- <http://islamstory.com/ar>
- <https://tribusalgeriennes.wordpress.com/2014/10/24>
- <http://ency.kacemb.com>
- <http://mirathlibya.blogspot.com/2010/11/25>



<http://mawdoo3.com>

http://www.algeriagate.info2014-03-post_20.html

1-<http://islammemo.cc/zakera/methl-haza-elyawm/2012/04/09/147602.html>

-206-06-2016 <http://www.algeriagate.info/2014/04/1830.html>

<http://midad.com/article/197375>